ثِيودورُس أسقف المصِّيصَة

كان ثيودورس ، اسقف المصّيصة [1] ، معلّماً لامعاً ومدافعاً عنيداً عن الإيمان المستقيم ؛ عكست كتبه الكثيرة فكراً لاهوتياً ثاقباً يتضمّن تعليماً واضحاً عن طبيعة الابن المتجسّد الكلمة ابن الله ؛ مات ثيودورس في اطمئنان وسلام مع الكنيسة ، لكنّ خصومه تهجّموا عليه بعد موته وحاولوا مرّات كثيرة النيل منه فلم يفلحوا ، ولكنهم أخيراً تمكّنوا من إدانته في مجمع القسطنطينية الثاني .

سنحاول ان نتعرّف على هذا الوجه البارز الذي كرّمه المؤمنون في انطاكية وجوارها وفي المناطق البعيدة التي وصلت اليها مؤلّفاته وتعاليمه فنال بجدارة لقب " مفسّر الكتب الإلهية " .

اولاً : لمحة خاطفة عن حياته

وُلَد ثيودورس [2] حوالى العام ٣٥٠ في انطاكية وهناك تعلّم البلاغة على يد معلّم وثنيّ مشهور اسمه ليبانيوس وكان يتابع دراسته مع يوحنا فم الذهب الذي سيُنتخبُ اسقفاً على القسطنطينية ومع مكسيموس الذي سيُصبح اسقفاً على سلوقيا .

اقنعه يوحنا فم الذهب ، رفيق الدراسة ، بان يعيش الحياة النسكية فاعتمد ثيودورس وعاش مع رفيقه مكسيموس السلوقي حياة الزهد تحت توجيه ورعاية ديودورس الذي سيصبح اسقفاً على طرسوس ، وكان عمر ثيودورس آنذاك حوالى عشرين سنة .

بعد فترة وجيزة ، استغوته مباهج الحياة فترك الحياة النسكية وقرّر الزواج ، غير ان رفيقه يوحنا فم الذهب ارسل اليه رسالة [3] اقنعه فيها لكي يعود الى الحياة النسكية فوافق على طلب زميله . لا نملك معلومات وافية عن السنوات العشر التي تلت هذه الحادثة ، ولكن من الأرجح ان يكون ثيودورس قد انكبّ على الدراسة وتكسّب المبادئ اللاهوتية والتأويلية التي

---

١ . تقع المصّيصة في كيليكية من اعمال تركيا وهي قريبة من طرسوس ؛ كان في هذه المدينة صنم يُدعَى : مفسوس ، لذلك سُمِّيَت المدينة مفسوسطيا على اسم الصنم .

٢ . اسمه باليونانية يعني : عطية الله .

3 – Ad Theodorum lapsum , P . G . , t. XLVII , col. 277 – 316 .

لقّنه إياها معلّمه الروحي ديودورس الذي ترك هذه المدرسة عام ٣٧٨ ليصبح اسقفاً على طرسوس .

سيم ثيودورس كاهناً في العام ٣٨٣ وذاع صيته بين معاصريه فكان الواعظ اللامع والمعلّم المسموع الذي يدافع عن تعاليم الكنيسة ضدّ الهراطقة . في العام ٣٨٦ ذهب ثيودورس الى طرسوس لأنّ معلّمه القديم ديودورس ، اسقف هذه المدينة ، استدعاه الى هناك فظلّ في طرسوس قرب معلمه حتى العام ٣٩٢ حين أُنتخبَ أسقفاً على المصّيصة .

دامت اسقفيته ستّاً وعشرين سنة ردّ في بدايتها ابناء المصّيصة الى الإيمان بعد ان تركوا الوثنية وكان معروفاً ابعد من حدود ابرشيته ، فكان حاضراً الى جانب عدد من الأساقفة في مجمع القسطنطينية الذي عُقد في العام ٣٩٤ لدرس النزاع حول كرسي البصرة . من المحتمل ان يكون ثيودورس قد التقى في هذا المجمع الإمبراطور ثيودوسيوس الذي أُعجب بتعليمه اللاهوتي .

حين أُرسل يوحنا فم الذهب الى المنفى عام ٤٠٤ ، ذهب ثيودورس لزيارة رفيق الدراسة فعزّاه وشجّعه على الثبات في وجه الشدائد . في عام ٤٢٨ ، عُيِّن نسطور بطريركاً على كرسي القسطنطينية ، وفي طريقه الى القسطنطينية مرّ على المصّيصة وزار ثيودورس ويبدو ان اسقف المصّيصة العجوز اعطى بعض النصائح لنسطور . بعد فترة وجيزة توفي ثيودورس في نفس العام ٤٢٨ ورقد في سلام مع الكنيسة [٤] .

ثانياً : مؤلّفات ثيودورس المصّيصي

كتب ثيودورس عدداً لا يُحصى من الكتب فشرح عقيدة الكنيسة وفسّر الكتب المقدسة وكتب في الأسرار والليتورجيا وغيرها فكان نتاجه الفكري غزيراً ، غير ان خصومه

---

٤ . للحصول على المزيد من المعلومات عن ثيودورس اسقف المصّيصة راجع :

بولس الفغالي ، ثيودورس اسقف المصّيصة ومفسِّر الكتب الإلهية ، (التراث السرياني ٣) ، دار المشرق بيروت ، ١٩٩٣ .

E. AMMAN , DTC 15 .1 : 235 – 279 . R. DEVRESSE , Essai sur Théodore de Mopsueste (StTest 141; 1948) . R. A. GREER , Theodore of Mopsuestia (London 1961) . F. A. SULLIVAN , The Christology of Theodore of Mopsuestia (AnalGreg 82 ; 1956) . P. GALTIER , “

Théodore de Mopsueste : Sa vraie pensée sur l'Incarnation," RechScRel 45 (1957) 161 – 186 , 338 – 360 .

الغيورين انتقموا منه بعد وفاته فامر ربولا اسقف الرها (+ ٤٣٥) بحرق كتبه ؛ لم يسلم من كتب ثيودورس إلاّ بعض الكتب التي تُرجمت الى السريانية والتي نجت من الحرق والإتلاف ؛ كذلك نجد بعض الكتب محفوظة باللاتينية التي نُقِلت اليها في افريقيا اللاتينية .

ان الاكتشافات الحديثة لبعض كتب ثيودورس المفقودة ستساعد العلماء على التعرف عن كثب على تفكير ثيودورس ؛ لقد تمّ اكتشاف " شرح انجيل يوحنا " في العام ١٨٦٨ على يد المطران خيّاط في دير القديس جرجس ، شمالي الموصل ، في اللغة السريانية ؛ وقد نُقل هذا الكتاب الى اللاتينية [٥] ونحن ننتظر نقله الى لغات متداولة لكي ينجلي تعليم ثيودورس حول التجسّد والذي يظهر بدون شكّ في تفسير مطلع انجيل يوحنا . كذلك اكتُشِفَت " العظات التعليمية " [٦] عام ١٩٣١ بواسطة العالم السرياني افرام الأول برصوم بطريرك السريان الأرثوذكس منذ سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٥٧ ؛ نجد في هذه العظات التعليمية شروحاً في قانون الايمان وفي الأسرار وهذا سيُوضح ، بدون شك ، تفكير ثيودورس الذي شوَّهه خصومه بعد ان حُرقت كتبه ولم يعد بالامكان التعرّف الى تفكيره الحقيقي .

. هاتان اللائحتان تذكران ان ثيودورس المصّيصي فسّر كتب التوراة وصموئيل والمزامير والأنبياء والجامعة واعمال الرسل ورسائل بولس الى اهل روما وكورنثية وغلاطية وفيلبي وكولسي وتسالونيكي وفلمون وتيموتاوس وعبرانيين ؛ كما فسّر اناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا . كما كتب ثيودورس في التجسد والروح القدس والكهنوت وردّ على المجوس وعلى انوميس وابوليناريوس وآريوس وكتب العظات التعليمية وعدداً كبيراً من الكتب التي فُقدت .

———

5 – J.M. VOSTE, Theodori Mopsuesteni commentaries in evangelium Johannis apostolic , CSCO , Louvain , 1940 .

6 – R. TONNEAU , Les Homélies Catéchétiques de Théodore de Mopsueste , Citta del Vaticano , 1949 . Studi e Testi , 145 .

7 – Le texte est publié dans : J.-S. ASSEMANI, Bibliotheca orientalis , t. III , p. 30 – 35 .

8 – Publiée en arabe avec traduction française par Mgr DIB, dans P . O . , t. V , p. 289 – 291 .

ثالثاً : ثيودورس بين التفسير الحرفي والتفسير المجازي

كانت كنيسة الاسكندرية تعتمد الطريقة المجازية في تفسير الكتب المقدسة وذلك تحت تأثير واسع للفيلسوف فيلون الذي كانت فلسفته منتشرة في الاسكندرية . رفض ثيودورس مبادئ التفسير المجازي المعتمدة في الاسكندرية وفسّر الكتب المقدسة باحثاً عن المعنى الحرفي . في هذا الإطار كتب ثيودورس كتابه " ضدّ المجازيين " لينتقد مبادئ تفسيرهم .

تبنّى اوريجانس مبادئ الشرح المجازي تحت تأثير فيلون ، فالتفسير المجازي هو اسلوب وثني في شرح الكتاب المقدس . ان المجاز يقضي بان نقول شيئاً يختلف عن المعنى الذي يريده النص . ان الشارح الذي يتبنّى الطريقة المجازية يقتطع النص من اطاره الذي كُتبَ فيه ويبدأ بشرح تعابيره بطريقة رمزية تجعلنا بعيدين عن المعنى الأساسي للنص .

يعتبر ثيودورس ان العمل الأساسي للمفسّر هو البحث عن المعنى الحرفي للنص ؛ يجب دراسة الألفاظ والتعابير والتعرّف الى معناها من خلال القواميس ، ومن المفروض العودة الى اللغة الأصلية التي كُتبَ فيها النص للوصول الى المعنى الدقيق ؛ في هذا المجال كان تفسير العهد الجديد سهلاً على ثيودورس نظراً لمعرفته باللغة اليونانية ولكن الصعوبات واجهت ثيودورس في شرح العهد القديم لأنه لم يكن متمكّناً من اللغة العبرية . لاحظ ثيودورس احياناً انه يجب تصحيح بعض الكلمات او العبارات التي اعتبرها غامضة واقترح قراءات مختلفة للنص . ان احداث وشخصيات العهد القديم تحضّر العهد الجديد فعلى سبيل المثال ، يكون يونان صورةً ومثالاً للمسيح كذلك تشكّل احداث الخروج من مصر مثالاً وصورةً للنجاة من الموت التي حقّقها المسيح بموته على الصليب .

رابعاً : دفاع ثيودورس عن تعليم الكنيسة ضدّ الهراطقة

ان الفترة الزمنية التي عاشها ثيودورس المصّيصي (٣٥٠ . ٤٢٨) كانت حافلة بالنقاشات اللاهوتية حول الكرستولوجيا ولاهوت التجسّد ؛ بعد السلام الذي نعمت به الكنيسة إثر إعلان قسطنطين عام ٣١٣ ، بدأ اللاهوتيون يفكّرون بشخصية الإله الذي تجسّد وصار انساناً . حاول آباء الكنيسة ان يعرضوا تصوّرهم للعلاقة بين الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية في شخص المسيح ابن الله المتجسّد فكان تنافس بين كنيسة الإسكندرية من جهة وبين كنيسة انطاكية من جهة أخرى . اعتبر كيرلس ممثّل كنيسة الإسكندرية انه تُوجد طبيعة واحدة في الإله يسوع

المسيح المتجسّد (المونوفيزية) في حين ان ديودورس ، معلّم ثيودورس ، الذي يمثّل لاهوت كنيسة انطاكية يعتبر انه تُوجد طبيعتان (الديوفيزية) في المسيح : الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية . دافع ثيودورس عن الديوفيزية الإنطاكية ودحض تعاليم الهراطقة امثال اريوس واونوميس وابوليناريوس وماقيدونيوس وغيرعم ؛ سنعرض بإيجاز لمحة عن هذه النقاشات اللاهوتية .

١ . هرطقة الأريوسية

علّم اريوس ان يسوع المسيح الإبن قد صنعه الله وهو مخلوق من العدم ؛ انتقص أريوس من الوهية الابن واعتبر ان الابن هو غير مساوٍ للآب . ردّ مجمع نيقية (٣٢٥) على تعاليم اريوس وصدر قانون الإيمان الذي يساوي بين الآب والابن . بالرغم من قرار مجمع نيقية الذي يدين تعاليم آريوس ، ظلّ تأثير الآريوسية فترة ملحوظة من الزمن وكان تبّاع الآريوسية ينشرون تعاليمها المضلّلة ومن بين هؤلاء الأتباع نجد استيريوس السفسطائي الذي توفي عام ٣٤١ ولكنّ تأثيره بقي في الأذهان مدّة تزيد على خمسين سنة . كتب ثيودورس مؤلّفاً ضدّ استيريوس [٩] معتبراً ان يسوع المسيح هو ابن الله فعلاً كما انه انسان مثلنا ؛ فالرب يسوع هو الإبن الكامل للّه وهو ابن الله بالطبيعة ولكنه في الوقت عينه هو الابن الكامل لداود وقد اصبح ابن الله بواسطة النعمة .

٢ . هرطقة الأونومية

في العام ٣٥٧ ظهرت الأونومية على يد اونوميس في سرميوم حين كان اودكسيوس على كرسي انطاكية . تأثّرت الأونومية بشكل واسع بتعليم آريوس وظلّ اونوميس يعرض مبادئ هرطقته حتى نهاية القرن الرابع . تنتقص ألأونومية من جوهر الوهية يسوع المسيح ، فتقرّ ان الابن الوحيد هو مخلوق وهو غير موجود منذ الأزل وقد جاء الابن من العدم الى عالم البشر مثل باقي المخلوقات ؛ وتعتبر الأونومية ان المسيح أخذ جسداً ولم يأخذ نفساً فقد حلّت الطبيعة الإلهية محل النفس ،

كتب ثيودورس حوالى العام ٣٨٠ . ٣٨١ مؤلّفاً يردّ فيه على تعاليم اونوميس وقد بقيت لنا بعض المقاطع من هذا الكتاب ؛ يقول ثيودورس : آريوس ، اونوميس وكل الذين لهم تقارب مع آرائهم يعانون من مرض اليهودية بسبب نقص ايمانهم ؛ لم يفهموا ولم يقبلوا ان الابن هو من الطبيعة الإلهية فكلّ ما يُقال عن طبيعة الآب يُقالُ هو نفسه عن طبيعة الابن .

٩ . لم يبقَ من هذا الكتاب سوى الجزء اليسير ، لذلك فاننا نستشف مضمون هذا الكتاب من خلال بعض المقاطع المنثورة هنا وهناك .

٣ . هرطقة الأبولينارية

تتقارب الآريوسية والأونومية مع هرطقة الأبولينارية التي أسسها ابوليناريوس ؛ يعتبر ابوليناريوس ان المسيح له مثلنا نفس وجسد ولكنّ هذه النفس تنقصها المعرفة او العقل وقد حلّ " الكلمة " محلّ هذه المعرفة ، وهكذا تحقّقت الوحدة بين العنصر الإلهي والعنصر البشري في المسيح ؛ وبالتالي يؤكّد ابوليناريوس انّ المسيح لم يكن انساناً كاملاً ولا يوافقه تماماً اسم " انسان " . نلاحظ انه في حين انتقص اريوس واونوميس من الوهية الابن ، فإنّ ابوليناريوس شوّه طبيعة الابن .

كتب ثيودورس في نهاية حياته كتاباً بعنوان : " في ابوليناريوس وهرطقته " وقد وصلتنا بعض الأجزاء من هذا الكتاب ؛ دافع ثيودورس عن الوهية وانسانية الابن كما عرضها مجمع نيقية وكما تعترف كنيسة انطاكية بهذا الايمان .

٤ . هرطقة الماقيدونيين

حاول ماقيدونيوس ان يقلّل من منزلة الروح القدس ورفض ان ينسب الى الروح القدس الشبه الأساسي بشخص الآب وشخص الابن ؛ في هذا المجال ، كتب ثيودورس " المجادلة مع الماقيدونيين " وقد وصلت الينا هذه المجادلة باللغة السريانية وهي محفوظة في المتحف البريطاني . يقول برحدشابا [١٠] وهو احد المؤرخين الذين اهتموا باخبار ثيودورس : " رفض الماقيدونيون وجود الروح القدس وقالوا انه ليس ازلياً ولا يساوي في الطبيعة الآب والابن بل هو مصنوع بواسطة الابن وتساءلوا : اين توجد المراجع الكتابية التي تبيّن أزلية الروح القدس ومساواته في الجوهر مع الله الآب والابن ؟ فانبرى ثيودورس يجادلهم فخفض اعداؤه رؤوسهم وما استطاعوا ان يقاوموا اسئلته فلجأوا الى الصمت ؛ فخرج ثيودورس حاملاً اكاليل الظفر ، فعظّمه الآباء القديسون وارسلوه الى حقل المصيصة البائر " .

باختصار نقول ان ثيودورس دافع عن تعليم الكنيسة حين كتب ضدّ الهراطقة الذين ذكرناهم ؛ ولكنّ هناك عدداً آخر من الهراطقة الذين كتب ثيودورس ضدّهم دون ان يسمّيهم ؛ نذكر مثلاً الأبيقوريين الذين لا يذكرهم صراحة ، ولكنّه يلمّح اليهم بوضوح ، كذلك تهجّم ثيودورس على سمعان الساحر الذي شوّه التعليم المسيحي فتبعه المرقيونيون والولنطينيّون . اعتبر ثيودورس انه من الضروري الردّ على هؤلاء الهراطقة الذين حادوا عن تعليم الكنيسة المستقيم حتى لا يُضلّوا قلوب الناس ويفسدوا الزرع الجيّد الذي زرعه المسيح .

10 – Patrologia Orientalis , t IX , Fasc 5 , no 45 .

خامساً : مصير ثيودورس المأساوي بعد وفاته

مات ثيودورس في سلام مع الكنيسة في عام ٤٢٨ ولكنّ المجادلات اللاهوتية التي عرفتها الكنيسة بعد وفاته جعلت ثيودورس المفسّر يجلس في قفص الإتهام ؛ دامت هذه النقاشات حوالى ١٢٥ سنة انتهت بالحكم على ثيودورس شخصياً وعلى كتبه وعلى رفيقيه ثيودوريتس القورشي وهيبا الرهاوي ، فجعل مجمع القسطنطينية الثاني (٥٥٣) شخص ثيودورس بين الهالكين واعتبره هرطوقياً . سنحاول ان نعرض باقتضاب الظروف التاريخية والأحداث التي جعلت هذا المدافع عن الايمان ومفسّر الكتب المقدسة ، الذي ذاع صيته ، في مصاف الهراطقة .

١ . ثيودورس والهرطقة النسطورية في مجمع افسس

اشرنا سابقاً الى ان نسطور جلس على كرسي القسطنطينية سنة ٤٢٨ وانه حين ذهب لتولّي مسؤولياته ، عرّج على المصّيصة وزار ثيودورس اسقفها العجوز الذي توفي في نفس السنة . ما هي علاقة ثيودورس بنسطور ؟

لا يستطيع المؤرّخون ان يجزموا حول هذا الأمر . لم يعترف نسطور بلقب " والدة الله " لمريم العذراء ، فانعقد مجمع افسس عام ٤٣١ وحرم نسطور ؛ ولكن ما يلفت الانتباه هو ان المجمع المذكور لم يذكر ثيودورس المصّيصي ولم يحرم كتاباته ولا جعل رباطاً بينه وبين اسقف المصيصة المتوفي !

غير انّ خصوم ثيودورس يتّهمونه بانّ تعاليمه تتضمّن افكاراً قريبة من تعاليم نسطور ، وقد دعوا ثيودورس " ابا النسطورية " ؛ إذا كان هذا الإتهام صحيحاً ، فلماذا لم يحرم مجمع افسس ذاك الذي تتضمّن كتبه مبادئ النسطورية ؟ الجواب على هذا السؤال واضح : ان آباء المجمع لم يجدوا رباطاً بين نسطور وثيودورس ولم يعتبروا انه من الضروري إدانته .

لقد شوّه خصوم ثيودورس تعاليمه وكان الأمر سهلاً عليهم لأنّ كتبه حُرقت ، فاصبح خصومه يستشهدون بمقاطع منسوبة الى ثيودورس ولا احد يعلم إذا كان اسقف المصيصة قد كتبها ام ان خصومه اسندوها اليه ليتمكّنوا من ادانته .

٢ . ثيودورس في مجمع خلقيدونية

تركّزت المجادلات اللاهوتية بين الأعوام ٤٣١ و ٤٥١ على مسألة الطبيعة الواحدة (المونوفيزية) او الطبيعتين البشرية والإلهية (الديوفيزية) في المسيح . دافع كيرلس الاسكندراني عن المونوفيزية فأقرّ بوجود طبيعة واحدة في الكلمة الإلهي المتجسّد ، في حين ان كنيسة انطاكية تمسّكت بتعاليم ثيودورس وكتبه التي تتشدّد بشكل واضح على الديوفيزية ؛ هذا يعني انه يجب الحكم على ثيودورس لفرض المونوفيزية .

وبالفعل امر ربولا اسقف الرها بحرق كتب ثيودورس وطلب من كيرلس الاسكندراني ان يحرم ثيودورس ولكن كيرلس تردّد وامتنع عن ادانة ميت يكرمه الشرقيون ويعترفون به معلماً ومفسّراً ويضعونه في مصاف القديسين ، فاكتفى كيرلس بارسال رسالة الى ربولا يحكم فيها على نسطور .

وصلت تعاليم ثيودورس الى ارمينيا عبر الترجمات السريانية ، ولكنّ ربولا اسقف الرها واكاسيوس اسقف ملطيّة حذّرا الأرمن من تعاليم هذين " الهرطوقيّين " وطلبا من الأرمن الامتناع عن نشر كتب ثيودورس ؛ ارسلت الكنيسة الأرمنية رسالة الى بروكلس اسقف القسنطينية تطلب فيها رأيه حول استقامة تعاليم ثيودورس او انحارفه عن تعليم الكنيسة ؛ أجاب بروكلس برسالة عقائدية تُسمى " سفر بروكلس " معتبراً ان تعليم ثيودورس عن الابنين لا يتوافق مع وحدة الأقنوم والشخص في يسوع ؛ انزعج يوحنا اسقف انطاكية من البلبلة التي تُثار حول ثيودورس وديودورس الّذين تكرمّهما الكنيسة مع العلم انّ تعليمهما يوافق ما قاله إغناطيوس ، اثناسيوس ، باسيليوس وغريغوريوس وغيرهم . فارتبك بروكلس امام هذا الواقع وتراجع عن مضمون سفره وكتب رسالة عامة لا يدين فيها صراحة ثيودورس وكانت لهجة الرسالة معتدلة .

في عام ٤٤٨ كتب ثيودوريتس القورشي رسالة الى الامبراطور ثيودوسيوس دحض فيها تعاليم اوطيخا ودافع عن تعاليم ثيودورس وديودورس معلّمه وقد وافقه بالرأي دومنوس بطريرك انطاكية ، على اساس ان اوطيخا يحاول ان يبيّن وجود ذوبان لطبيعتي المسيح في طبيعة واحدة . انعقد مجمع اللصوص في آب ٤٤٩ واعتُبِرَ ثيودوريتس مذنباً لأنه دافع عن ديودورس وثيودورس وأُبعد ثيودوريتس عن منصبه ولاقى بطريركه دومنوس نفس المصير ؛ غير ان مجمع خلقيدونيا الذي عُقد في عام ٤٥١ اعاد الإعتبار الى ثيودوريتس وسمع آباء المجمع بانبساط رسالة [١١] هيبا الرهاوي التي تتضمن مديحاً لثيودورس ؛ تقول الرسالة التي تُليت امام آباء المجمع : ان ربولا اسقف الرها تهجّم على ثيودورس الذي توفي والذي يكرمه الشرقيون ؛ كان ثيودورس بطل الحقيقة وملفان الكنيسة الذي ، ليس فقط خلال حياته أهان الهراطقة بحقيقة ايمانه ، بل ايضاً ترك لأبناء الكنيسة ميراث كتاباته ؛ لقد ردّ ثيودورس اهل مدينته الى الحقيقة ووصل تعليمه الى الكنائس البعيدة . انتهى مجمع خلقيدونيا ونجا ثيودورس من المحاولة الثانية للحكم عليه .

—

11 – Texte grec de la lettre dans MANSI , VII , 241 – 249 .

٣ . الحكم على ثيودورس في مجمع القسطنطينية الثالث

حارب المونوفيزيون بضراوة مقرّرات مجمع خلقيدونيا وقوي نفوذهم في القسطنطينية فامر الامبراطور اناستاس بعقد مجمع عام ٤٩٩ وقد تهجّم هذا المجمع على ديودورس وعلى_ثيودورس وكتبه وعلى ثيودوريتس وعلى هيبا وغيرهم من المدافعين عن الديوفيزية .

بعد هذه الفترة بقليل ضعف نفوذ روما فطلب الامبراطور يوستنيانوس من البابا فيجيليوس الحضور الى القسطنطينية لعقد مجمع لإدانة الرؤوس (او الفصول) الثلاثة : ثيودورس المصّيصي ، ثيودوريتس القورشي وهيبا الرهاوي . سجن الامبراطور الأساقفة الذين لم يوافقوه الرأي في حرم الرؤوس الثلاثة واضحى البابا وحيداً ؛ قرأ بعض الحاضرين مقاطع منسوبة الى ثيودورس واعتبروا انها تناقض تعليم الكنيسة ، ووافق الأساقفة الحاضرون على طلب الإمبراطور فصدر قرار من المجمع يقضي بإدانة الرؤوس الثلاثة وهكذا تمكّن خصوم ثيودورس من النيل منه بعد مئة وخمس وعشرين سنة على وفاته .

سادساً : وحدة الطبيعتين الإلهية والإنسانية في تعليم ثيودورس

اراد الله ان يُعيد للإنسان حالة الخلود التي خسرها بسبب معصية آدم ، فارسل ابنه الوحيد الذي نزل من السماء وأخذ جسداً بشرياً ؛ لقد أضحى يسوع انساناً كاملاً وقد أُعطيَ نفساً وجسداً ولكنّ يسوع المسيح الانسان برهن لسامعيه انه قي الوقت عينه مساوٍ للآب وانّ الآب يسكن فيه . يقول ثيودورس في العظة الثامنة المقطع الأول : نحن إذاً أمام واقعين واحد منظور وواحد لا منظور . نحن من جهة امام إنسان تامّ كامل وصورة عبد . ومن جهة ثانية نحن امام الكلمة الأزلي وصورة الله . ويسوع المسيح هو هذا وذاك معاً : " ليس هو الله فقط وليس هو انساناً فقط ، بل هو في الاثنين بالحقيقة وفي الطبيعة . هو الله كما هو انسان . هو الله الكلمة الذي أخذ جسداً وهو الانسان الذي أُخِذَ . فالذي هو صورة الله أخذ صورة العبد (فل ٢ : ٦) . ولكنّ صورة العبد ليست صورة الله ، ففي صورة الله نجد ذلك الذي هو الله بالطبيعة والذي أخذ صورة العبد . ولكن صورة العبد هي تلك التي هي انسان بالطبيعة والتي أُخِذت من اجل خلاصنا . إذاً الذي أَخذ غير الذي أُخِذَ والذي أُخِذَ غير الذي أَخذ . فالذي أَخذ هو الله والذي أُخِذَ هو إنسان " [١٢] .

---

١٢ . أخذنا الترجمة العربية للنص من : بولس الفغالي ، ثيودورس اسقف المصّيصة ، دار المشرق ، ١٩٩٣ ، ص ١١٩ .

نلاحظ ان ثيودورس يميّز في هذه العظة بين الإنسان المأخوذ والكلمة الآخِذ ؛ ان الاثنين هما متحدان في واحد هو يسوع المسيح كما يقول يوحنا : " الكلمة صار بشراً وحلّ بيننا " (يو ١ : ١٤) ؛ المأخوذ هو الانسان والآخذ هو الله الكلمة ؛ هذه هي شخصية يسوع المسيح ابن الله : هو اثنان ولكنه واحد ، وهذا الواحد ليس مركّباً . يعترف ثيودورس بوجود طبيعتين متميّزتين : الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية ، اي اللاهوت والناسوت وقد اتّحدا ليكوّنا شخصاً واحداً . انّ الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية (الآخِذ والمأخوذ) تتبادلان الصفات لأنهما تقعان في الشخص الواحد . ان يسوع المسيح الذي صار انساناً هو اقنوم واحد وطبيعتان ؛ هذا هو تعليم ثيودورس الذي يعكس تعليم مجمع نيقية .

خاتمة

عرضنا لمحة خاطفة عن حياة ثيودورس اسقف المصّيصة وعن مؤلّفاته وتعاليمه ؛ اننا نتساءل : هل يستحقّ هذا المعلّم البارز واللاهوتي المتعمّق بالكتب المقدّسة ان ينال بعد موته المصير المأساوي الذي جعله بين الهالكين ؟ لا شكّ انه علينا انتظار ترجمة كتبه التي اكتُشِفَت حديثاً ونشرها لنستطيع الإجابة عن هذا التساؤل . ان فقدان كتاب ثيودورس " في التجسد " حين قُتِل أداي شير في الحرب العالمية الأولى جعلنا نخسر كنزاً ثميناً يُمكّننا من معرفة تفكير ثيودورس الحقيقي حول الطبيعتين الإلهية والإنسانية . غير ان المقاطع التي وصلت الينا والتي هي مجموعة من هنا ومن هناك يمكن ان تشكّل . الى جانب الكتب المكتشَفَة . نواة تمكّن الباحثين من إعادة بناء فكر ثيودورس المصّيصي ؛ علينا ان نقرأ بحذر المقاطع التي اوردها خصوم ثيودورس في مجمع القسطنطينية الثاني (٥٥٣) حين ردّوا على تعاليم اسقف المصّيصة ، لأننا لا نعلم مدة صحة نسبتها الى ثيودورس . هذا الأمر يتطلّب بحثاً عميقاً وجديّاً للتعرّف على تفكير وجه لامع طبع تاريخ الكنيسة وترك الأثر الطيّب بين نفوس عارفيه وقارئيه وكان حجر عثرة امام خصومه الذين لم يتوانوا عن السعي للنيل منه حتى ولو بعد مرور فترة طويلة على وفاته .

"تيودوروس اسقف المصيصة (٣٥٠ – ٤٢٨)" المنارة ٢ – ٣ ، (لبنان ٢٠٠٢) ، ص ٣٨٣ -٣٩٦